Journal of Alasmarya University
Volume 2, December 2003

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد الثاني، ديسمبر 2003



التطرف الديني
المفهوم . الأسباب . المظاهر . المعالجات

الدكتور محمد إبراهيم الأصيبعي

اللجنة الشعبية العامة للعدل والأمن العام

بزغ نور الإسلام خاتما للرسالات السماوية، فأجمل الأحكام وأتمَّ الديانة الأزلية للعالمين، باعتبارها الدين الخاتم، ونفَض عن العرب عهد الجاهلية، وكوَّن منهم أمة قوية متماسكة، تولَّت بعد أن آمنت، حمل راية الإسلام والرحمة والهداية إلى أقصى بلاد الدنيا، في الشرق والغرب، حتى وصلت الفتوحات الإسلامية شرقاً إلى روسيا والصين، وغرباً إلى بلاد الغال "فرنسا".

فالإسلام دين صفاء العقيدة وسمو الشريعة، وأنه في جوهره دين بلا فِرَق ولا طُرق[1] ، وقد اعتمد في نشر تعاليمه السمحة، على الحكمة والرحمة والموعظة الحسنة وهداية الناس بالمعروف، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة النحل/125) فكان

---

(1) مانع حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة للطباعة والنشر والتوزيع ط3 1: 23.

ذلك ديدنه مع المشركين في جزيرة العرب والشام وفارس، وفي قارات العالم، آسيا وأفريقيا وأوروبا، وكل أصقاع الدنيا تشهد بذلك.

ونتيجة لانتشار الإسلام، وهديه على أنقاض إمبراطوريات وممالك ودول عديدة، ولدخول الإسلام أمما، وشعوبا كثيرة، لها دياناتها ومعتدقاتها وطقوسها، المحرفة "اليهودية والمسيحية"، فإن العديدين منهم دخلوا الإسلام، وفي نفوسهم من الإسلام وأهله الشيء الكثير، ومنهم المنافقون والمرتدون، وأصحاب الفتن والمؤامرات التي ذكرها تاريخ الإسلام، وجسّد نضاله وتحديه لهذه الزمر الضالة، المضللة التي ظلت متربصة وحاقدة، حتى تجد الفرصة للكيد للإسلام والمسلمين.

كما أن حركة الاستعمار والاستشراق والتبشير، أسهمت بشكل أو بآخر، في ظهور فرق وطرق، ناهيك عن الأحداث الجسام التي مرت بها الأمة، منذ أواخر عهد الخلافة الراشدة، وفي فترات ضعف الدولة الإسلامية، إبان انتقالها من نظام الخلافة إلى نظام الملك، وتحولها من دولة لأخرى، وانقسامها على نفسها شيعاً وأحزابا، فظهرت فرق عديدة، لا حصر لها، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، الخوارج والشيعة وفروعها، وكثيرا من الحركات الهدامة الأخرى. وسنتولى في هذا البحث تحديد أسباب التطرف ومظاهره ومناهجه وسبل معالجته، وفق التقسيم الآتي:

المبحث الأول: مفهوم التطرف الديني في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: أسباب وعوامل التطرف الديني.

المبحث الثالث: مظاهر التطرف ومناهجه.

المبحث الرابع: تقويم للوضعية ومقترحات بأساليب المعالجة.

المبحث الأول : مفهوم التطرف الديني في اللغة والاصطلاح

التطرف من الطرف، في اللغة، وقد وردت له عدة معان في معاجم اللغة نذكر منها:

أ ـ الطرْف : العين. لا يُثنّى ولا يجمع؛ لأنه في الأصل مصدر، فيكون واحدا وجمعا. قال تعالى: ﴿ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء ﴾ (سورة إبراهيم/43)، كما يراد بها (طرف بصره) إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر، والمرة منه طرفة، ويقال: أسرع من طرفة عين، و(الطرفة) أيضاً، نقطة حمراء، تحدث في العين من ضربة وغيرها.

ب ـ طرَف الشيء: جوانبه، قال تعالى:﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ﴾ (سورة هود/114)، فطرَف النهار الأول صلاة الصبح، وطرفه الآخر صلاة الظهر

والعصر، وزلفا من الليل صلاة المغرب والعشاء، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ (سورة الرعد/41) أي نواحيها وجوانبها، والطرف الجماعة من الناس قال تعالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (سورة آل عمران/127)، وأطراف الرجل جماعته وأعمامه وأخواله وكل قرابته، كما يقال: فلان كريم الطرفين. يراد به نسب أبيه وأمه، وأطراف البدن الرجلان واليدان والرأس.

ج ـ الطرِف بالكسر بمعنى الكريم العتيق من الخيل، قال أبو زيد: هو نعت للذكور خاصة، والطرف بالفتح الشيء الطيب، والنادر التحفة، ويقال: أطرفت فلاناً، إذا أعطيته شيئاً لم يملك مثله فأعجبه، والطريف والطارف من المال المستحدث، وهو ضد التالد والتليد، يقال: ماله طارف ولا تليد. ويراد به من ليس لديه مال مستحدث، ولا موروث من آبائه وأجداده[1].

د ـ والمتطرف من الرجال هو الذي لا يثبت على أمر، ورجل طرف وامرأة طرفة، إذا كانا لا يثبتان على عهد، والتطرف في اصطلاح الناس، هو مجاوزة حد الاعتدال والتنطع والغلو واعتماد التشدد فيما ذهب إليه[2].

أما المتطرف في الاصطلاح، فيعني فيما يعني مجاوزة الاعتدال في السلوك الديني فكراً وعملاً، أو هو الخروج عن مسلك السلف في فهم الدين وفي العمل به، فمسلك السلف في الإسلام هو المعيار والمقياس الذي يناسب السلوك القويم[3]،كما ينصرف التطرف إلى التشدد والتصلب والمغالاة في الدين، ومجاوزة الحد المطلوب والمقدر شرعاً[4]. وقد يراد به الخروج عن النسق السليم، والنهج الصحيح للدين الإسلامي، واتباع الأفكار، والمذاهب الشاذة والضعيفة، منهجا ودستورا لهم لفرضه على الآخرين[5]. ومن ذلك نرى أن التطرف الديني وفق التعريفات السابقة يمثل ما يأتي:

---

(1) ابن منظور، لسان العرب 1 : 436.

(2) د. ناصر الطريفي، نظرة الشريعة لظاهرة الإرهاب ص158.

(3) د. علي عبد الرزاق جلبي وآخرون، علم الاجتماع والمشكلات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية ط1 2000ف ص436.

(4) د. محمد مصطفى الزحيلي، الاعتدال في التدين فكراً وأسلوباً ومنهجاً، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ط2 1992 ص 12.

(5) الباحث، مضامين الإرهاب والتطرف في اللغة والاصطلاح، صحيفة جميعة الدعوة الإسلامية العدد 670 ص10.

- ❖ الخروج عن الدين الإسلامي الصحيح.
- ❖ مجاوزة حد الاعتدال في التدين.
- ❖ الانحراف عن النسق السليم، والنهج الصحيح للدين القويم.
- ❖ اتباع الأفكار والمذاهب الشاذة والضعيفة، وترك منهج الإسلام الصافي ومعينه الذي لا ينضب القرآن الكريم وسنة النبي الأمين ـ صلى الله عليه وسلم ـ.
- ❖ التشدد والتصلب والمغالاة في الفكر والعمل.
- ❖ تكفير من لا يؤمن بنهج المتشددين، وتسفيه الرأي الآخر.
- ❖ المروق عن سلطة المجتمع وحكم الدين ومخالفة مذهب الأمة.

وتاريخ التطرف الديني قديم قدم الحضارة الإسلامية كما أسلفنا، والانحراف أخذ صورا ومناهج عديدة، تمثل في خروج الخوارج عن طاعة الإمام علي، وانقسامهم إلى فرق عديدة سببت مآسي للأمة وحروبا وفتنا، وكذلك الشأن مع فرق الشيعة التي تفرقت إلى شيع وأحزاب. وفي عهود الاستعمار ظهرت فرق من خارج الوطن العربي بلغت مرحلة الكفر والإلحاد، كما حدث مع فرق اليزيدية والقرامطة والقاديانية والبهائية وغيرها.

أما الفرق المتطرفة الحديثة، فقد انطلقت من مصر والسودان والسعودية والجزائر واليمن، وتمثل جماعات تعرف بالإخوان المسلمين والتكفير والهجرة والجهاد، وغيرها من الحركات الزندقية، التي تحاول أن تستغل الإسلام لتحقيق مآربها للوصول للسلطة، وقد وجدت في وضع الأمة الإسلامية المتهالك، وواقعها المتأزّم في مواجهة الهجمة الصهيونية والاستعمارية والهزائم المتكررة التي لحقت بها، بيئة صالحة لنشر أفكارها، وتضليل الشباب وإقحامهم في فتن ومؤامرات وحروب أهلية، نتيجة عمليات الاغتيال والقتل والإرهاب والرعب، الذي تمارسه هنا وهناك، حتى أننا لا نكاد نجد بلدا عربيا أو إسلاميا، إلا عانى من هؤلاء.

المبحث الثاني : أسباب وعوامل التطرف الديني

للتطرف الديني في العصر الحديث العديد من الأسباب والعوامل، بعضها مرتبط بالمتطرف ذاته، والبعض الآخر يمثل أسبابا وعوامل عامة، سنتولى توضيحها بشيء من الإيجاز.

أولاً ـ الأسباب المباشرة لبروز ظاهرة التطرف[1]

1. الفهم الخاطئ للدين ومبادئه وأحكامه، والظروف التي تهيئ له وتعين عليه.
2. الإحباط الذي يلقاه الشباب، نتيجة افتقارهم للمثل العليا التي يؤمنون بها في نطاق المجتمع.
3. الخطأ في إدراك حقيقة المثل العليا، وطبيعة المجتمعات الإنسانية وأسلوب الإصلاح.
4. تبسيط الأحكام وتعميمها والنظرة السوداوية، والتشاؤمية للمجتمع واليأس في إصلاحه، مما يدفعهم إلى التشدد والعنف والإرهاب.
5. الإحساس بشيوع القهر والقمع بدلاً من الطمأنينة والحوار والإقناع على المستويات كافة.
6. غياب الحوار الجاد المفيد، من قبل رجال الدين والعلماء والمتمكنين للاستماع، والرد على الآراء والأفكار المتطرفة وتفنيدها، وبيان الصحيح في مجال العبادة، والاجتماع والاقتصاد والسياسة بأسلوب الدعوة الإسلامية السليمة، دون غوغائية أو قمع أو تهويش.

ثانياً ـ الأسباب العامة للتطرف الديني

هناك أسباب وعوامل عديدة للتطرف الديني، أبرزتها البحوث والدراسات التي أجريت على الحركات الزندقية في الوطن العربي، والتي توصلت إليها التقارير الأمنية، وكانت خلاصة لأعمال اللجان المشتركة، التي كُلِّفت بدراسة الظاهرة وأسبابها، نوجزها فيما يأتي:

1. ضعف التنشئة الأسرية والاجتماعية من نواحي دينية وأخلاقية.
2. عدم قدرة المدارس على استكمال التنشئة، والتربية والتحصين الذاتي للفرد، كي يكون في منأى عن التطرف والتشدد.
3. عدم قيام الخطباء بواجباتهم في التوعية والتثقيف والإرشاد الديني، لعدم قدرتهم على ذلك، لضعف تأهيلهم، فيمكن لأيٍ كان أن يؤم المسلمين، وأن يخطب فيهم، سواء كان من أهل العلم أو من غيرهم.

(1) د. علي عبد الرزاق جلبي وآخرون، (م..س) ص 423.

4. عدم وجود معاهد متخصصة لإعداد الخطباء والأئمة، وفق الأصول السليمة؛ لمواجهة الهجمة الشرسة للمتشددين دينياً، والحوار معهم وتفنيد إدعاءاتهم وضلالاتهم وترهاتهم، وتقديم الإسلام الصحيح للناس، كما أراده الله في كتابه الكريم،وسنة رسوله الأمين ـ صلى الله عليه وسلم ـ.
5. عدم الاهتمام بالشباب، في تعليمهم وتدريبهم وتأهيلهم وتكوينهم، وتوفير فرص العمل لهم، وكذلك إتاحة فرص العيش الكريم لهم، من خلال برامج حقيقية فعالة، وليست مجرد وعود وكلام، لا يسمن ولا يغني من جوع، فإذا وُجد الفراغ والبطالة والحاجة، فإن ذلك يجعلهم صيداً سهلاً للزنادقة والمارقين على سلطان الدين والمجتمع والقانون.
6. الإعلام المرئي والمسموع والندوات والمحاضرات والإرشاد والفتوى، كلها جوانب مهمة في التحصين، وهي مفقودة، وإن وجدت فهي برامج هزلية ونادرة، ولا تحقق المستهدف منها.
7. ضعف الأجهزة الأمنية وتهالكها، وعدم قدرتها على التخطيط للوقاية والمواجهة، بأسلوب علمي لدراسة الظاهرة ومعرفة أسبابها، والحد من المتورطين فيها، والتعامل برقي ومسؤولية مع هؤلاء.
8. القيام بحملات أمنية بشكل متأخر، وبعد تفاقم الأمر وتجاوزه كل الحدود؛ لأن القرار ليس بيد الأجهزة الأمنية وحدها، ورهينة بتدخلات من جهات عدة، قد لا تفهم العمل الأمني والأسلوب الصحيح لأدائه.
9. عدم اتخاذ إجراءات صارمة للحد من تسلل التطرف والأفكار والكتب والأدبيات الزندقية من الدول المجاورة (السودان ومصر والجزائر وتونس).
10. عدم إشراك الناس في الوقاية والمكافحة للظاهرة، سواء على مستوى الأسرة أو المدرسة أو النادي، أو المجتمع المحلي والنقابات والاتحادات والروابط المهنية، وحركة اللجان الثورية والأمن الشعبي، والقوى المجتمعية كافة؛ لأنها الأقرب إلى هذه الظواهر، والأقدر على الإسهام في تحقيق نتائج إيجابية ملموسة، في هذا المجال[1].

(1) الباحث: الوجيز في الأمن الشعبي المحلي إصدارات اللجنة الشعبية العامة للعدل والأمن العام ط1/1994ف ص45. الباحث: النماذج العربية للشرطة المجتمعية: بحث مقدم للندوة العلمية للشرطة المجتمعية بجامعة دمشق خلال الفترة من 24 -2000/4/26ف ص85. إصدارات أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية الكتاب 261 الرياض 2001ف.

المبحث الثالث : مظاهر ومناهج التطرف الديني

يأخذ التطرف الديني مظاهر عديدة، ويعتمد مناهج وأساليب محددة لتحقيق غاياته وأغراضه؛ للإخلال بأمن الفرد والمجتمع، والمساس بمعتقداته والتشكيك في قيمه، النابعة من الدين الإسلامي القويم، والأخلاق والقيم المجتمعية الرصينة.

مظاهر التطرف الديني

1. يقوم التطرف في بدايته على التعصب للرأي تعصباً، لا يعترف للآخرين برأي، وهذا يشير إلى جمود هؤلاء، وعدم قدرتهم على فهم واستيعاب آراء الآخرين، بأريحية وتسامح تجاوباً مع روح الإسلام، وهديه والدعوة والحوار مع الآخرين، لا سيَّما ما يتصل بالاجتهاد في الحق، بما يتجاوب مع مقاصد الشرع وظروف العصر، فالمتطرف يرى أنه وحده على حق، وما عداه على ضلال، وكذلك يسمح لنفسه بالاجتهاد في الحق، وأدق القضايا الفقهية، ولكنه لا يجيز ذلك ولا يقبله من علماء العصر، سواء كانوا منفردين أو مجتمعين، ما دام الذي توصلوا إليه مخالفاً لما ينادي به.
2. التشدد في القيام بالواجبات الدينية، ومحاسبة الناس على النوافل والسنن، وكأنها فرائض، والاهتمام بالجزئيات والفروع، والحكم على إهمالها بالكفر والإلحاد.
3. الميل إلى العنف في التعامل مع الآخرين، بخشونة في الأسلوب وغلظة في الدعوة.
4. سوء الظن بالآخرين والنظر إليهم نظرة تشاؤمية، لا ترى أعمالهم الحسنة وتضخم من سيئاتهم، فالأصل عند هؤلاء الاتهام والإدانة؛ نتيجة الثقة الزائدة بأنفسهم مما يجعلهم في فترة لاحقة، يصلون إلى درجة الازدراء والسخرية بالآخرين.
5. وقد يبلغ التطرف مداه، حين يسقط المتطرف عصمة الآخرين، ويستبيح دماءهم وأعراضهم وأموالهم، وهم بالنسبة إليه متهمون بالخروج عن الإسلام، ويصل في النهاية إلى دائرة التطرف، التي تتيح للأقلية الحكم على الأكثرية بالكفر والإلحاد، و ليست هذه الظاهرة وليدة العصر، بل

هي تكرر من حين لآخر، منذ خروج الخوارج على نهج الأمة في عهد آخر الخلفاء الراشدين، وغيرهم من غلاة الفرق الإسلامية المتطرفة، كما سبق بيانه[1] .

ومن ذلك نرى أن التطرف حلقات متتالية، تبدأ بالتعصب في الفكر والتشدد في العبادات، ومحاسبة الناس على الكبيرة والصغيرة، والتعامل معهم بغلظة وسوء ظن، وإذا لم يتجاوبوا معهم يرمونهم بالكفر والإلحاد، ويستبيحون أرواحهم وأعراضهم ودماءهم، ثمَّ يخلقون أجواء الفتنة والتناحر والاقتتال؛ نتيجة التعصب والمغالاة والتشدد والتطرف في الدين، خلافاً لنهج الإسلام وهديه.

مناهج وأساليب التطرف

على الرغم من تعدد الجماعات المتطرفة، واختلافها فيما بينها إلا أن مناهجها وأساليبها التي تستخدمها، تعتمد على مداخل منهجية وأساليب محددة، نجملها فيما يأتي:

1. المنهج الحرفي في تفسير النصوص، وانتقاء آيات وأحاديث معينة، والتمسك المطلق بحرفيتها دون الالتفات إلى مقاصدها العامة، وفق السياق السليم لفهمها، واستخلاص الأحكام منها، تبعاً لمنهج الإسلام الصحيح المرتبط بأسباب النزول، ومعرفة أصول الاستدلال اللغوي والفقهي، دون التمييز بين القاعدة والاستثناء المرتبط بسببه.

ومن هذا القبيل اعتبارهم المجتمعات الإسلامية المعاصرة مجتمعات كافرة، لأنها تحكم بقوانين وضعية؛ استناداً إلى تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون ﴾ (سورة المائدة/47)، وقد ذهبت بالمتطرفين إلى استخدام العنف وتخريب مؤسسات المجتمع، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (سورة الحشر/5).

2. أخذ المعرفة الدينية عن طريق السماع عن الخطباء والوعاظ، والاستخفاف بآراء الأئمة والمجتهدين، والتسليم المطلق بحق الاجتهاد والإفتاء لزعاماتهم، كل في نطاق جماعته، فأفتى هؤلاء باستحلال دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم، مما ورط بعضهم في أمور، تخالف صريح المعقول والمقبول، وتخالف الشريعة مخالفة لا تحتمل التأويل، كمن أفتى بتزويج أخته أو أمه المتزوجة دون أن تطلق، استناداً إلى أن زوجها كافر لرفضه الدخول في الجماعة، بعد أن بلغته الدعوى، أو أنه مرتد

(1) د. علي عبد الرزاق جلبي وآخرون (م.س) ص425.

لخروجه عن الجماعة، وأسباب هذه الفتوى أن كفر الزوج الأول يترتب عليه، في زعمهم، فسخ العقد، ولا حاجة لديهم لطلب التطليق من القاضي.

3. منهج العزلة عن المجتمع، وتهدف الجماعات المتطرفة من ورائه تحقيق أمرين:
الأول: تجنب أعضاء الجماعة المنكرات، التي تملأ جوانب المجتمع وحمايتهم من أن يشاركوا في نهج الجاهلية.
الثاني: تكوين مجتمع خاص بهم، تطبق فيه مبادئ الإسلام وتتسع دائرته شيئاً فشيئاً، حتى تستطيع في النهاية غزو المجتمع الجاهلي من خارجه، وكما هو واضح فإن الأمر الأول ديني فكري، والثاني سياسي حركي.

وتختلف درجة العزلة عن المجتمع، من جماعة إلى أخرى، حيث أن بعضا منها يكتفي بالاعتزال الشعوري، ويستمر بالعيش داخل المجتمع، في حين أن البعض الآخر ينادي بالهجرة المادية إلى الكهوف والجبال، ويقاطع المدارس والمساجد والجامعات والوظائف، وتعد هذه الفكرة من أخطر عناصر هذا المنهج الفكري والعقائدي والحركي للجماعات المتطرفة، لأن العزلة تتيح لهؤلاء فرصة التخطيط والتدبير لإحداث الفتن والقلاقل، والإخلال بأمن الوطن والمواطن، حينما تغيب شمس الحقيقة، ويختلط الحابل بالنابل، ويتوقف العقل وتتداخل الأفكار والرؤى، وتخرج عن إطار المعقول والمنطقي إلى غياهب الضلالة والتشدد والتطرف، الذي لا عودة عنه.

4. وأخيراً تقوم معظم أفكار الجماعات المتطرفة حول فكرة محورية، تقوم على أن (الحاكمية للّه وحده) ولذا ينبغي أن يكون التشريع نابعا من الإسلام، كما أن الديمقراطية كفر؛ لأنها تسمح للأقلية أن تحكم وتعمل بتشريع وضعي، يبيح المنكرات ويخالف شرع اللّه؛ لذا فكل من يخالف رأيهم فهو كافر، ومن بلغته دعوتهم ولم ينظم إليها فهو كافر أيضاً، ومن دخلها وخرج عنها فقد ارتد.

مناهج وأساليب عقيمة تشكك في الإسلام وهديه، وتتيح لأعداد من الغوغائيين ممن ليس لديهم العلم الكافي، ولا الخبرة بالاجتهاد والفتوى، وتخلق مجتمعاً داخل المجتمع، له إمكانياته وأفكاره ومعتقداته وخططه؛ لتخلق الفتن والاقتتال بين المسلمين، وكل من يعارضهم يكفر، ولم يسلم أحد من أذاهم، ولذا نجدهم أضروا ضرراً بليغاً بعدد لا بأس به من الدول العربية والإسلامية، وأساؤا إلى الإسلام أيما إساءة، بل إنهم ورطوا العرب والمسلمين في نزاعات دولية، ومخططات إمبريالية واستعمارية، لا يعلم مداها إلا اللّه.

لذا وجب علينا التعرف إلى هذه المظاهر والمناهج والأساليب ودراساتها، وتأمين شبابنا ومجتمعنا من غلواء هذه الجماعات المتطرفة، والتعامل معها بما تستحق من معالجات، وفقاً لما يتناسب وما قامت به، وما تنوي القيام به، وما هي مستهدفاتها، كما سيأتي بيانه.

المبحث الرابع : تقييم للوضعية ومقترحات بأساليب المعالجة

رأينا فيما تقدم مضامين التطرف الديني في اللغة والاصطلاح، ولمسنا عن قرب أسبابه وعوامله ومظاهره ومناهجه التي يسعى من خلالها، إلى الإضرار بالفرد والجماعة، ويهدر القيم الدينية والأخلاقية المجتمعية؛ سعياً إلى الوصول إلى غاياتهم وأهدافهم، التي لا تتناغم مع أهداف وغايات المجتمع المسلم.

ومنذ البداية يجب أن نؤكد على أن التطرف الديني لا يعني الالتزام الديني وفقاً لمضامين الإسلام الصحيحة، حيث أن التردد على المساجد وأداء الصلوات في أوقاتها وقراءة القرآن والسير على هدى الإسلام، أمر مطلوب من كل مسلم يؤمن بالله ورسوله. فحينما نرى الشباب والأطفال يزاحمون الرجال والشيوخ في المساجد، فذلك أمر طيب يدل على أننا نعيش في مجتمع متدين، يسير وفقاً لما ارتضاه الله لعباده في كتابه الكريم، وسنة رسوله الأمين.

وذلك لا يدعو إلى القلق، وانما إلى الفرح، ويتطلب منا المباركة والدعم لجذورنا الإسلامية التي تتناغم مع ما عرف عن مجتمعنا العربي الليبي، من تدين ومحبة للسير على هدى الإسلام. وقد اتخذت الدولة عدة طرق ووسائل لدعم هذا المنهج القويم، لنكون جميعاً جبهة واحدة ضد هؤلاء المتطرفين، والمتشددين المارقين على أحكام الدين وسنة الرسول الكريم، لعل من أبرزها :

- ❖ النص في إعلان قيام سلطة الشعب على: أن القرآن الكريم شريعة للمجتمع الجماهيري.
- ❖ الخطوات المباركة التي تمت في مطلع الثورة، لإصدار تشريعات نابعة من التشريع الإسلامي.
- ❖ إنشاء جمعية الدعوة الإسلامية، لتتولى حماية المسلمين ودعمهم في شتى بقاع العالم، وتعمل على نشر الإسلام في كل مكان، وتؤسس المساجد والمكتبات والجامعات الإسلامية في العديد من مدن العالم، وتتولى من خلال مؤسساتها

الجامعية تخريج أساتذة وعلماء وفقهاء وخطباء؛ ليكونوا هداة ودعاة في أوطانهم؛ لنشر الإسلام والتصدي لموجات التبشير ومؤامرات الصهيونية.

- ❖ بعث هيئة متخصصة من العلماء والمخلصين من أبناء هذا الشعب؛ لوضع استراتيجية للعناية بالمساجد في الجماهيرية، من حيث صيانتها ودعمها بالكتب والمراجع، وتوفير خطباء ووعاظ قادرين على أداء الخطب والدروس الدينية؛ لإفهام الناس أمور دينهم ودنياهم وفق الإسلام الصحيح.
- ❖ طباعة القرآن الكريم أكثر من مرة، ونشره على مستوى الجماهيرية والوطن العربي والإسلامي والعالم، وإصدار العديد من الكتب والمراجع العلمية والموسوعات، التي تثري الدراسات الإسلامية، وتفتح آفاق المعرفة الحقة للمسلمين في كل مكان.
- ❖ فتح المدارس والمعاهد القرآنية والمنارات؛ لتعليم القرآن الكريم وهدى رسوله الأمين، فينشأ المسلم ويشبُّ متسلحا بالإسلام الصحيح، الذي يجعله في حصن حصين من التأثيرات الهدامة.
- ❖ عقد الندوات والمؤتمرات الوطنية والعربية والإقليمية والدولية؛ لمناقشة قضايا الإسلام والمسلمين، وسبل مواجهة التحديات التي تواجه الأمة العربية والإسلامية، والعمل على نشر البحوث والدراسات التي تلقى فيها، وفتح الحوار مع الحضارات والديانات الأخرى، لمزيد من التفاهم والتواصل مع الآخر، في ظل التحولات التي يشهدها العالم جراء العولمة وتأثيراتها، في مختلف المجالات بما فيها الجانب الثقافي والأخلاقي.
- ❖ تنظيم المسابقات القرآنية والمشاركة فيها على عدة مستويات، التي كان، بفضل الله، لأبنائنا قصب السبق فيها والأولوية، في العديد من المحافل العربية والإسلامية والدولية.
- ❖ مباركة أي جهد عربي أو إسلامي، يسعى إلى إبراز صورة الإسلام الصحيحة، ويعرف بفضل الإسلام وهديه، وينأى به عن التطرف والإرهاب، ويدعو إلى التحاور مع الأديان الأخرى.

هذا غيض من فيض من جهود بلادنا من أجل الإسلام، ولذا ففي إمكاننا الرد على كل مدعٍ، يرى غير هذا ويحاول أن يسوق أفكاره السوداوية، وترهاته وأباطيله اتجاه بلادنا وشعبنا وثورتنا، سواء كان من الداخل أو من الخارج.

وحقَّ لنا البحث بجدية، عن معالجات علمية وعالمية، يمكن أن تفيد في التصدي لهذه الشراذم والعناصر المتطرفة، التي لا تمثل شيئاً قياساً بوحدة شعبنا والتزامه بثورتنا ونهجنا القويم؛ لذا فإن الباحث يرى إمكانية الإسهام بمعالجات متواضعة، يمكنها أن تفيد في الحد من ظاهرة التطرف الديني، التي تسربت إلينا من الدول المجاورة، ومن خلال العمالة الوافدة التي استغلت سماحة هذا الشعب للوصول إلى المساجد، والقيام بشؤونها، مدرسين وواعظين ومعلمين، ولكنَّ قوى الإسلام الحية وأبناء هذا الشعب الأبي، والأجهزة الأمنية في الجماهيرية العظمى تفطنت لذلك، واتخذت ما يلزم من إجراءات لحماية أبنائنا وشبابنا وشعبنا، من هذه التيارات الهدامة والحركات المارقة، التي تتخذ من الدين ستاراً لها؛ لتحقيق مآربها المشبوهة للوصول إلى السلطة، من خلال إثارة الفتن والحروب الأهلية، وإشاعة الرعب والخوف والإرهاب في كل مكان، فما هي هذه المعالجات التي يمكن أن تفيد في هذا الجانب ؟.

في الواقع هذه الظاهرة تحتاج إلى معالجات عديدة، من جميع النواحي، لمحاصرتها ووأدها في مهدها؛ حماية لديننا وقيمنا وشعبنا، كي تنطلق السواعد والعقول، للبناء والتشييد وتحقيق الازدهار للأمة في ظل الإسلام، والعروبة الحقة دون زيف أو تدجيل، من هؤلاء أو غيرهم. ولعل من أبرز هذه المعالجات، من النواحي الدينية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية والأمنية، ما نوجزه فيما يأتي:

أولا: المعالجات الدينية

1. اعتماد القرآن الكريم شريعةً للمجتمع الجماهيري تطبيقاً وعملاً، بحيث يكون له أثر بالغ في أوضاعنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحياتية كافة، لنسقط في أيدي هؤلاء المتشددين، الذين يدّعون الإسلام ويحاربون للوصول إلى السلطة، بحجة إصلاح الأمة.
2. الاستمرار في تعديل تشريعاتنا ونظمنا، وفقاً لنهج الإسلام الصحيح، وهذا ما بدأته الثورة المباركة في بداية السبعينات، وينبغي المحافظة على ما تحقق، ونسعى إلى المزيد، فما عندنا من أحكام وتشريعات ونظريات نابعة من الإسلام، تفوق مما لدى الغرب، وإنَّ الكثير مما عندهم إنْ هو إلا فروع لما عندنا، فليس علينا إلا أن نجلي الصدى عن عقولنا، ونشمر عن سواعدنا، وننفض الغبار عن تراثنا الفقهي والديني؛ لإخراج الدرر والنظريات والتشريعات، التي تتجاوب مع احتياج مجتمعنا، أكثر مما تحققه التشريعات التي فرضت علينا، من خلال الاستعمار والتغريب والعولمة.

3. الحوار الهادئ الرصين من لدن العناصر القادرة على الحوار الجاد المسؤول، كإخواننا العلماء والفقهاء، ممن أعطاهم الله القدرة على الحوار، والعلم الغزير في الدين، والقدرة على الإقناع بالحكمة والموعظة الحسنة، والبعد عن استعمال العنف، وبيان ضحالة فكرهم، وعدم صحة معتقداتهم وضلالاتهم، والعمل على إعادتهم إلى جادة الصواب، مع إبراز ذلك لعامة الناس؛ ليعرفوا الحق فيتبعوه، ويكتشفوا الباطل فيجتنبوه، ونضمن سلامة الدين من التحريف، والمجتمع من الانحراف عن الجادة.
4. مزيد الاهتمام بالمساجد، من حيث تأمين الخطباء والأئمة والوعاظ، القادرين على أداء رسالتهم الدينية والاجتماعية، وفق هدى الإسلام؛ لتعريف المسلمين بأمور دينهم ودنياهم، بعيداً عن الترهات والضلالات.
5. توفير الكتب الدينية التي تعرّف الإنسان بأمور دينه ودنياه، بأسلوب سهل بسيط، ليتمكن عامة الناس من الإطلاع عليها، والاستفادة منها في تطوير معرفتهم الدينية، وينبغي أن تكون هذه الكتب في متناول الجميع، من حيث وجودها بالمساجد والمكتبات والبيوت والمدارس والنوادي... الخ.

ثانياً: المعالجات الاجتماعية

1. العمل على ضمان تنشئة دينية واجتماعية أخلاقية قويمة، تشارك في النهوض بها الأسرة والمدرسة والمسجد والحي... الخ، لتوفير سياج يحمي أفراد المجتمع من الانحراف، ويوفر مقومات التحصين الذاتي.
2. مسؤولية الوقاية من التطرف ومكافحته، مسؤولية الجميع، كل فرد وكل جماعة، وكل هيئة أو أمانة أو نادي رياضي أو جمعية أهلية... الخ، جميعها مطالبة بأدوار إيجابية؛ لتنفيذ استراتيجية المجتمع للوقاية والمكافحة، لأن الجهود الفردية لا تحقق المستهدف منها، فمتى ما تحقق الوعي لدى كل الجهات، وقام كل منهم بدوره، فإن التطرف سيندحر، وجماعاته ستنكشف وستفشل في تحقيق مخططاتها، لأن الأمر مسؤولية الجميع.
3. التعاطف والتماسك واللحمة المجتمعية، ينبغي أن تتوافر بين أبناء الأمة حيث أن تربية المواطن الصالح، وإشباعه بحب الوطن وحب الخير لأبنائه، وتوعيته بمواطنته وانتمائه، كل ذلك يجعل الإنسان يغلب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، ويتفانى في خدمة مجتمعه وأمته بلا حدود.

4. إيجاد حلول ومعالجات مجتمعية للعديد من المشاكل، التي يعاني منها الشباب، كالفراغ والزواج والسكن وفرص العمل والمعاش المجزي،فإنها تجعل الشباب يشعرون بأن المجتمع يحضنهم ويدعمهم، ويوفر لهم فرصة العيش، وتكوين أسرة سوية قادرة على أداء دورها في بناء المجتمع، وهذه مسؤولية الجميع بدءاً من الفرد حتى الدولة.

5. العمل على إيجاد بيئة ووسط اجتماعي سوي، تتحقق فيه مقومات الجماعة القويمة في إطار الأسرة والعشيرة والقبيلة، والمجتمع المحلي والمجتمع الكبير؛ لأن الأفراد إنْ هم إلا جزء من المجتمع الذي يتواجدون فيه، فإذا كانت البيئة سليمة، فسيكون هؤلاء خالين من العقد، ومن التشدد والتطرف، وسيتأثرون بما ينادي به الإسلام، من رحمة وتسامح بين أفراده وجماعاته.

ثالثاً: المعالجات الاقتصادية

1. توفير فرص العمل للشباب والحد من البطالة، حيث أن وجود شباب خريجين ومؤهلين وأصحاب حرف قادرين على العمل، لا تتوفر لهم فرصة العمل، قد يدفعهم للانحراف والحقد على المجتمع، والتورط في الإجرام والتطرف.
2. تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية، والحد من الفوارق الطبقية، وتطبيق الاشتراكية الإسلامية، كي يستفيد كل أفراد المجتمع من ثروة المجتمع.
3. إعادة النظر في الأجور والمرتبات من حين لآخر، لتكون في مستوى يمكّن من توفير متطلبات العيش المناسب لأبناء الشعب، لتوفير احتياجاتهم واحتياجات أسرهم.
4. إنشاء صناديق ومصارف لخدمة أفراد المجتمع، ودعمهم في مشاريعهم وأنشطتهم، بما يضمن تطويرها وكفايتها، لتسهم في نهضة المجتمع من خلال توفير فرص العمل، وإنعاش النشاط الاقتصادي.

رابعاً: المعالجات الإعلامية

1. يفترض أن نعطي مساحة كافية، في إعلامنا المقروء والمسموع والمرئي، للاهتمام بالنواحي الدينية والأخلاقية والاجتماعية، من قبل اختصاصيين ووفق خطة واضحة، تروي عطش أفراد المجتمع، وتلبي احتياجاتهم بشكل مدروس منظم مستمر، يركز على الجوانب كافة، وبمشاركة من جميع الجهات ذات العلاقة، كالأوقاف والإعلام والتعليم والمعاهد والجامعات ومؤسسات البحث العلمي.

2. تشجيع المؤسسات التعليمية والدينية، والمجتمعية على الاهتمام بهذا الجانب، كل في نطاقه لتتكامل الجهود، ونخلق وعيا جماهيريا بأمور الدين والدنيا، وفق النهج القويم الذي ارتضاه الله لعباده، حتى تتوافر إمكانات التحصين من التأثيرات الغوغائية والمضللة، التي يقوم بها المتطرفون والمتشددون.
3. إصدار النشرات والدوريات والدراسات والبحوث العلمية، والتشجيع على عقد الندوات والمؤتمرات، التي تناقش المسائل الدينية والأخلاقية والمجتمعية؛ لتكوين ثقافة رصينة، وتواصل علمي وإعلامي، يحقق ما نصبوا إليه.
4. تطوير مؤسساتنا الإعلامية ودعمها بالمتخصصين، وفتح آفاق التأهيل للموجودين، والاستفادة من خبرة الدول الشقيقة في هذا الميدان، كي نجذب المواطن للإطلاع على صحفنا ودورياتنا، وبرامجنا المسموعة والمرئية في خضم الغزو الثقافي والتواصل الإعلامي، الذي تجاوز كل حدود.

خامساً : المعالجات الأمنية

تأتي المعالجات الأمنية كآخر حل، عندما لا تجدي المعالجات السابقة، من خلال وضع استراتيجية أمنية كاملة لرصد الظاهرة، ومتابعة تطورها وجمع البيانات عن كل أطرافها، وتدقيق المعلومات، وتصنيف العناصر المعادية والمتورطة في هذا النشاط، والاستفادة من القيادات الشعبية والمؤتمرات واللجان الشعبية، واللجان الثورية وأولياء الأمور في التنبيه على الخطر الذي يتعرض له أبناؤنا وشبابنا، والعمل على تجنيب كل من يمكن تجنيبه من خلال التوجيه والتوعية، والتبصير بأن ما يقوم به يخالف نهج الإسلام ويمس معتقدات المجتمع، ويوقعه في المحظور، وأخذ تعهد عليه بحضور أهله والفعاليات الشعبية والثورية، ويخلي سبيله.

مع استمرار المتابعة والرصد، والتقييم للعناصر الحاقدة والمصرة على نهج التضليل والتخريب والتدمير للمجتمع، والتي تتآمر على أمنه ومقدساته ومعتقداته وإنجازاته، وتسعى لذلك بكل السبل، فيتم التركيز عليها والاستعداد لمواجهتها من خلال الضبط والتحقيق، والإحالة إلى القضاء، قبل أن يستفحل أمرهم ويشتد خطرهم، وهذا يتطلب الإعداد والاستعداد والتجهيز والتخطيط لكل تحرك، بشكل علمي مدروس، بما يضمن اجتثاث الداء بأيدٍ خبيرة في شكل برنامج متكامل فعال.